Text Stamp

منهج الزمخشري في أساس البلاغة

بحث لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد و المنهج

قسم اللغة العربية في جامعة دمشق

بـــإشراف الـــدكـتور أسعد علي

تقديم الطالب زعل الغزالي

الـــعـــام ١٩٩٦ – ١٩٩٧

Text Stamp

مخطط البحث

	الصفحة
المقدمة : منهجية التجديد في أساس البلاغة :	أ – ي
تمهيد : حياة الزمخشري و معالم شخصيته :	٢–١٥
الباب الأول : الجانب اللغوي في أساس البلاغة :	١٦–٩٨
الفصل الأول : مزايا أساس البلاغة :	١٦–٣٥
الفصل الثاني : التطور الدلالي في أساس البلاغة :	٣٦–٧٦
الفصل الثالث : الشعر في أساس البلاغة :	٧٧–٨٨
الفصل الرابع : الأمثال في أساس البلاغة :	٨٩–٩٨
الباب الثاني : الظواهر البلاغية في أساس البلاغة :	٩٩–١٥٠
الفصل الأول : المجاز في أساس البلاغة :	٩٩–١٠٦
الفصل الثاني : التشبيه و الاستعارة و الكناية في أساس البلاغة :	١٠٧–١١٩
الفصل الثالث : جمالية السجع و الجناس في عبارات الأساس :	١٢٠–١٣٩
الفصل الرابع : جذور أساس البلاغة في نهج البلاغة :	١٤٠
	١٥٠
الخاتمة : ما أخذ على أساس البلاغة :	١٥١–١٦٦
مكتبة البحث :	١٦٧–١٨٥
فهرس المصادر و المراجع :	١٨٥–١٩٠
فهرس المحتويات :	١٩١–١٩٢
تعريف بالكتاب باللغة الإنكليزية :	١٩٣–١٩٤

Text Stamp

المقدمة : منهجية التجديد في أساس البلاغة

لاشك أن اللغة كائن حي متجدد بتجدد مرائي الحياة و مشاهدها ، و الكشف عن أسرارها ، و بتجدد مظاهر الحضارة و مخترعاتها .. و المعجمات التي تستطيع مسايرة تطور هذا الكائن الحي ، أعني اللغة ، هي الأصلح للبقاء ؛ فالناس يتداولون المعجمات الأكثر حيوية و الأكثر مسايرة لحاضر اللغة ..

وبكل اعتزاز نستطيع أن نقول : إن معجماً من بين معجمات اللغة العربية ، و هو أساس البلاغة للزمخشري تظل له حيويته و مقدرته على المسايرة ؛ لأن صاحبه الزمخشري كان صدره رحباً لكل جديد ؛ فوضع كلام المحدثين موضع الاعتبار و الاستشهاد ، و توسع في اللغة عن طريق القياس و الاشتقاق ، و خالف في بعض الأحايين غيره من المتقدمين و أباح لنفسه مخالفة معجمات اللغة ، و أتى بكثير من الجديد المقبول الذي لا يجافي منطق اللغة و استعمالاتها ..

وهكذا أصبح أساس البلاغة في صدارة معجماتنا اللغوية ؛ لأن مؤلفه كما قال ابن حجر العسقلاني*١ : " في غاية المعرفة بفنون البلاغة ، وتصرف الكلام ، و كتابه من أحاسن الكتب ، وقد أجاد فيه و بيّن الحقيقة و المجاز في الألفاظ المستعملة إفراداً و تركيباً " *٢ ..

وبالرغم من أهمية هذا المعجم الفائقة فإنني لم أجد من أفرد له دراسة مستقلة ، و إنما كان يُدرس هذا المعجم في فصل من كتاب كما فعل الدكتور أحمد الحوفي في كتابه : الزمخشري ، و الشيرازي في كتابه : الزمخشري لغوياً و مفسراً ، وحسين نصار في كتابه : المعجم العربي : نشأته و تطوره ، و غيرهم ممن كتب عن المعاجم العربية .. ولكن على عظيم نفع هذه الدراسات و دقة منهجها و صبر دارسيها في استخلاص النتائج إلا أنها ما قطعت بقولةٍ واحدة و هي أنّ الدراسة حول أساس البلاغة

---

*١- توفى سنة ٨٥٢ هج ، و له كتاب (غراس الأساس) و كتاب (لسان الميزان)

*٢- لسان الميزان ٦٧ :٤

Text Stamp

للزمخشري قد قيلت فيها الكلمة الأخيرة ؛ فقد اكتفوا بإشارات سريعة ، و حتى الزمخشري نفسه اكتفى في مقدمته بالإشارة – دون أن يفصّل الكلام على منهجه – إلى نقطتين هما : ترتيب الألفاظ ، و تقسيم المادة إلى قسمين : الأول للمعاني الحقيقية ، و الثاني للمعاني المجازية .. و عدا هاتين النقطتين لم يبين الزمخشري شيئاً عن منهجه ؛ و لكننا نستطيع من خلال مواده أن نتبين معالم المنهج الذي اتبعه الزمخشري في تأليفه هذا الكتاب ؛ لذلك رأيت أن أختار هذا البحث بعنوان :

منهج الزمخشري في أساس البلاغة

اطّلعت على الدراسات السابقة التي أشرت إليها قبل قليل ، و جمعت المادة العلمية من المصادر و المراجع المذكورة في فهرس المصادر و المراجع ، و عانيت ما عانيت على مدى ثلاث سنوات سواء في جمع المادة العلمية أم في قضية تسجيل البحث ، حتى هيّأ الله لنا التداخل مع الدكتور مزيد نعيم و الدكتور شوقي المعري اللذين سجلا ملاحظاتهما على مخطط البحث و استمر تعديل هذا المخطط بعد تسجيل البحث بالتنسيق مع الدكتور مزيد نعيم حتى استقر البحث أخيراً على الشكل التالي :

التمهيد : و يتناول حياة الزمخشري و معالم شخصيته ، و قد رأيت أن يكون مختصراً موجزاً ؛ لأن هناك دراستين بعنوان الزمخشري : الأولى للشيرازي ، و الثانية للحوفي وقد أفاضتا في الحديث عن حياة الزمخشري ؛ لذلك اكتفيت بالإلمام بجميع جوانب حياة الزمخشري و تنقلاته *١ .. و كذلك معالم شخصيته *٢ : الجسدية منها والنفسية ، ثم ذكرت أساتذته*٣ .. و تلامذته*٤ .. ثم عرضت لمؤلفاته*٥ ..

---

*١- الصفحة : ٢-٣ من البحث .

*٢- الصفحة : ٤-٨

*٣- الصفحة : ٩

*٤- الصفحة : ١٠

*٥- الصفحة : ١٠-١٥

Text Stamp

الباب الأول : الجانب اللغوي في أساس البلاغة ؛ و يشمل أربعة فصول :

الفصل الأول : مزايا أساس البلاغة : و يتناول عدة جوانب :

أولها : الهدف الذي رمى إليه الزمخشري من تأليفه هذا المعجم*١ ؛ حيث كان يبتغي الكشف عن أسرار اللغة للوقوف على وجوه الإعجاز ..

و ثانيها : مصادر الكتاب*٢ ؛ لأن اختلاف الهدف و الميدان عن المعاجم اللغوية الأخرى أدّى إلى اختلاف المصادر أيضاً ، و كانت مصادره كثيرة جداً ، و من بينها كتبه الأدبية السابقة للأساس كالمقامات و أطواق الذهب و نوابغ الكلم ... إلخ .

وهناك مصادر كثيرة لم يفصح عنها الزمخشري ..

و ثالثها : خصائص الكتاب*٣ . ولعل أهم خصيصة هي تفريقه بين الحقيقة و المجاز في استعمالات الكلمة و مدلولاتها لتتضح العلاقة بينهما ، و كذلك تخيره للأساليب الرائعة و العبارات المبدعة ، و وفرة الشواهد ، و استعمال الألفاظ في سياق أدبي أو تراكيب بليغة ، و كذلك ترتيب مواده وفق أوائل الأصول ، مراعياً الترتيب الهجائي المعروف ؛ و بذلك ينفرد أساس البلاغة بخصائصه ، فهو معجم أدبي بلاغي نسيج وحده بين المعاجم العربية ..

و رابعها : قيمته و أثره*٤ ؛ فهو يغذي الملكة ، ويخرج الأدباء و الفحول ، بالإضافة إلى أنه وثيقة لغوية فريدة ؛ تعطينا كثيراً من الدلالات على التطور التاريخي للألفاظ العربية ..

الفصل الثاني : التطور الدلالي في أساس البلاغة : فقد تحدث الزمخشري عن مظاهر التطور الدلالي في معجمه أساس البلاغة ؛ و القارئ لمعجمه يقف على إدراك

---

*١- الصفحة : ١٦

*٢- الصفحة : ١٧ - ٢٤

*٣- الصفحة : ٢٥ - ٣٠

*٤- الصفحة : ٣١-٢٥

Text Stamp

الزمخشري مسالك تطور الدلالة التي أثبتها في كتابه هذا ؛ فكان أحياناً يعبّر عمّا أصابها من تطور بعبارات صريحة كأن يقول : (أصله كذا)*١ ، أو (أصله كذا ثم كثر)*٢ ، أو (أصله كذا فاتسع فيه)*٣ ، أو (الأصل كذا ثم قيل)*٤ ، أو (أصلها كذا ثم عمّت)*٥ ..

و كان أحياناً لا ينص على هذا بعبارات صريحة ، و لكن الباحث يلحظ فيها إدراك الزمخشري تطور الدلالة ..

و قد ذكرت بعض عوامل التطور الدلالي*٦ ، و مظاهره الأربعة : التطور من الحسي إلى المعنوي*٧ ، تعميم الدلالة*٨ ، تخصيص الدلالة*٩ ، نقل الدلالة*١٠ ..

و سقت أمثلة من أساس البلاغة على كل مظهر من مظاهر هذا التطور الدلالي ، ثم أشرت إلى أن الزمخشري كان مسبوقاً إلى ذلك و لا سيما من قِبَل المفسرين و مثّلت بالطبري المتوفى سنة (٣١٠ هج) عشرٍ و ثلاثِ مئةٍ للهجرة ، أي قبل الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨ هج) ثمانٍ و ثلاثينَ و خمسِ مئةٍ للهجرة بأكثرَ من قرنين ..

و سقت أمثلة من تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) لنقف من خلالها

---

*١- انظر على سبيل المثال المواد : (سرف) ، (بني) ، (رمس) ..

*٢- انظر على سبيل المثال المواد : (بنن) ، (خور) ، (حمش) ..

*٣- انظر على سبيل المثال مادة : (حلب) ..

*٤- انظر مثلاً مادة : (كرع) ..

*٥- انظر مثلاً مادة : (ملأ) ..

*٦- الصفحة : ٣٦ - ٣٧ من البحث ..

*٧- الصفحة : ٣٩ - ٤٦

*٨- الصفحة : ٤٧ - ٥٤

*٩- الصفحة : ٥٥ - ٦٠

*١٠- الصفحة : ٦١-٦٤

Text Stamp

على إدراك الطبري مسالك تطور دلالة الألفاظ التي حلّلها *١ ..

و بهذا يكون الزمخشري ليس هو أول من تحدّث عن تطور الدلالة ، ولكنه هو أول من اعتمد هذا المنهج من بين المعجميين ؛ و هكذا يكون قد فتح الباب لمن جاء بعده من المعجميين ، و أفادوا من منهجه هذا و مثّلت بلسان العرب لابن منظور المتوفى سنة (٧١١ هج) إحدى عشرةَ وسبعمئةٍ للهجرة *٢ ؛ و بالتالي فإن التطور الدلالي لم يقف عند الزمخشري بل استمر عند من جاء بعده ..

الفصل الثالث : الشعر في أساس البلاغة*٣ : الشعر في أساس البلاغة كثير جداً ؛ و لم يكن منهجه في التعامل مع الشعر بالطريقة نفسها ؛ فكان أحياناً ينبه على قائل الشعر و أحياناً أخرى لا ينبه .. و كان أحياناً يتناول الشعر كشاهد على معنى لغوي و أحيانا أخرى كشاهد على معنى بلاغي .. و كان أحياناً يشرح معنى البيت و أحياناً أخرى لا يشرح ..

و بالإضافة إلى كثرة الشواهد في أساس البلاغة فهي أيضاً متنوعة أي أن شواهده لا تقتصر على عصر دون آخر ، بل كان يأتي بالشواهد الشعرية من جميع العصور : الجاهلي ، و الإسلامي ، و الأموي ، و حتى العباسي ؛ فقد حطّم الزمخشري بشجاعة نظرية عصر الاحتجاج التي كانت تقف بالاحتجاج عند عصر معين ، و ترفض الاحتجاج بشعر الشعراء ، و أقوال المبدعين الذين جاؤوا بعد هذا العصر مهما ارتفع مستواهم الأدبي و البلاغي ، فجاء الزمخشري و أباح لنفسه الاستشهاد بالمتأخرين ، ولاسيما أن استشهاده بالشعر كان من ناحية المعنى ؛ فهو لا يُقرّ قاعدة نحوية ؛ لذلك كان يتوسع في ذكر شعر العباسيين ، فاستشهد بأبي نواس ، و ابن الرومي ، و المتنبي ، و الجاحظ .. كما كان يستشهد بشعره هو أيضاً ..

---

*١- الصفحة : ٦٥ - ٦٩

*٢- الصفحة : ٧٠ - ٧٦

*٣- الصفحة : ٧٧-٨٨

Text Stamp

وكان أحياناً يذكر موضوع الشعر .. بالإضافة إلى أنه قد أشار في مواضع قليلة إلى رواية أخرى للبيت ..

الفصل الرابع : الأمثال في أساس البلاغة*١ : فقد كان الزمخشري يستشهد بالنثر كما يستشهد بالشعر ، و لم يكن يفرّق في استشهاده بين شعر و نثر ؛ بل كان يستشهد بهما جميعاً ، و الأمثال كثيرة في أساس البلاغة ، بعضها منبه عليه و بعضها الآخر غير منبه عليه .. و قد كان يستشهد بها على أمر معنوي ؛ و في المثل يزداد المعنى وضوحاً أما الأمثال التي نبّه عليها فقد كان يضعها أحياناً في الحقيقة كشاهد لغوي ، و أحياناً أخرى في قسم المجاز كشاهد بلاغي .. و كان أحياناً يشرح مفردات المثل شرحاً لغوياً و أحياناً يشرح كلمة و يترك أخرى ، و أحياناً يشرح معنى المثل ..

وهناك أمثال كثيرة أوردها دون أن يشرح منها شيئاً ؛ إذ لم يكن هدفه أن يشرح ، بل أن يجمع العبارات البليغة و يدونها في معجمه ..

بالإضافة إلى ذلك فقد كان في كثير من المواضع يذكر لمن يضرب المثل ، أو فيمَ يُضرب ، أو لمَ يُضرب .. و أحياناً يذكر أصل المثل ..

الباب الثاني : الظواهر البلاغية في أساس البلاغة :

الفصل الأول : المجاز في أساس البلاغة *٢ : فقد انصرف الزمخشري في أساس البلاغة إلى تقصي المعاني المجازية ، ولكنه لم يتوسع في شرح هذا المصطلح وفق مصطلحات البلاغيين ، مع أنه كان أحياناً يأتي بعبارات صريحة ندرك من خلالها تقدير الزمخشري لمصطلح المجاز العقلي أو المجاز المفرد المرسل و علاقاتهما ..

ولكن في كثير من الأحيان يورد الزمخشري عبارات فيها علاقات المجاز دون أن يشرح ذلك ؛ لأنه كان يهتم بإيراد البلاغة الممارسة ، لا بوضع قواعد نظرية البلاغة ..

و سقت أمثلة من أساس البلاغة عن علاقات المجاز المفرد المرسل : المحلية و الحالية ،

---

*١- الصفحة : ٨٩ -٩٨

*٢- الصفحة : ٩٩- ١٠٦

Text Stamp

الكلية و الجزئية ، السببية و المسببية ، الآلية و التضاد ..

وعلاقات المجاز العقلي : المكانية ، و الزمانية ، و المصدرية ، و السببية ، و المفعولية ..

الفصل الثاني : التشبيه*١ و الاستعارة*٢ و الكناية*٣ في أساس البلاغة : فقد تحدث الزمخشري في أساس البلاغة عن التشبيه ولكن في أماكن قليلة قياساً بحديثه عن المجاز و الاستعارة و الكناية التي أكثر منها ، وقد كان يورد عبارات فيها تشبيه دون أن يشير إلى ذلك ، و أحياناً ينبه على التشبيه ، ولكن لا يتوسع في شرحه وفق مصطلحات البلاغيين ..

و سقت أمثلة من أساس البلاغة عن التشبيه البليغ و التشبيه المرسل المجمل و التشبيه التمثيلي ..

وقد استخدم الزمخشري في أساس البلاغة لفظ (الاستعارة) و لكنه لم يتوسع في شرحه وفق مصطلحات البلاغيين مع أنه كان أحياناً يذكر بعض العبارات التي تشير إلى فهمه نوع الاستعارة ؛ فيقول مثلاً : (استعارة من الناقة)*٤ ، أو (من المجاز المرشح)*٥ ..

و هناك استعارات كثيرة نثرها الزمخشري في معجمه و لم ينبه عليها مع أنه نبه في غيرها كثيراً ..

و قد أوردت أمثلة من أساس البلاغة عن الاستعارة المكنية ، و الاستعارة التصريحية ، و الاستعارة التمثيلية ، و الاستعارة المرشحة ، و الاستعارة التخييلية ..

كما تحدث الزمخشري أيضاً عن الكناية و نثر في أساس البلاغة كثيراً من الكنايات

---

*١- الصفحة : ١٠٧ - ١٠٨

*٢- الصفحة : ١٠٩ - ١١٣

*٣- الصفحة : ١١٤ -١١٩

*٤- انظر مادة : (جبب) ..

*٥- انظر مثلاً مادة : (عوم) ..

Text Stamp

بعضها منبه عليه و بعضها الآخر غير منبه عليه .. و بطبيعة الحال لم يتوسع في شرح هذه الكنايات و تقسيمها وفق مصطلحات البلاغيين ..

و أوردت أمثلة من أساس البلاغة عن الكناية عن موصوف ، و الكناية عن صفة ، و الكناية عن نسبة ، و التلويح ، و الرمز ، و الإيماء أو الإشارة..

الفصل الثالث : جمالية السجع و الجناس في عبارات الأساس : فقد جمعت عدداً من العبارات المسجوعة ، و شرحتها من معجم الوافي لعبد الله البستاني*١ .. و مهدت لها بمقدمة *٢ ، أبيّن فيها الكم و قيم هذا الكم الهائل من العبارات المسجوعة ؛ و بذلك تحقق هذه الدراسة الجمع بين العلم و الفن ..

الفصل الرابع : جذور أساس البلاغة في نهج البلاغة *٣ : و يبين هذا الفصل إلى أية درجة كان الزمخشري يعتمد في معجمه أساس البلاغة على كلمات نهج البلاغة من المستويين : اللفظي الحرفي ، و البلاغي المجازي ، و دون أن يشير إلى ذلك .. و يبيّن أنّ ظهور نهج البلاغة في القرن الرابع الهجري هو الذي خلق حركة لغوية عند المعجميين مما جعل الزمخشري ينتبه إلى فكرة المجاز في كتابه (أساس البلاغة) التي استوحاها و استلهمها من (نهج البلاغة) ثم مثّلت بمواد من لسان العرب لنرى من خلالها مدى شيوع نهج البلاغة في هذا القاموس الموسوعي ، و أن صاحب لسان العرب كان أكثر أمانة من صاحب أساس البلاغة ..

ثم عرضت أمثلة و نماذج قابلت فيها بين ما جاء في أساس البلاغة مع ما يماثله من نهج البلاغة *٤ ..

&&&

---

*١- الصفحة : ١٢٥ - ١٣٩

*٢- الصفحة : ١٢٠ - ١٢٤

*٣- الصفحة : ١٤٠ - ١٤٥

*٤- الصفحة : ١٤٦ - ١٥٠